الافتتاحيّة

يدهشنا ما نجد من تأكيدات بيبليّة تتعلّق بالسَّنَة اليوبيليّة، من حيث وَقْعُها على الوضع الحالي للبشريّة، في أيامنا بالذات، من حيث المسائل والمشاكل ذات البعد المادي والاجتماعي.

لقد اكتسبت سنة «اليُوبيلْ»، في العهد القديم، معنى عميقاً، إذ فيها كانت تُرَدّ الممتلكات إلى أصحابها، كما كانت قد وُزّعت أصلاً على قبائل إسرائيل الاثنتي عشرة.

إنّها سنةٌ يُسْقِط فيها التّضامنُ مع الفقراء، ومع الناس الذين هم فريسة البؤس، حواجزَ الأنانيّة بمختلف وجوهها، الماديّة، والعِرقيّة، والدينيّة، والاجتماعيّة.

إنّها سنة يُخلي فيها مَنْطقُ التجارة والمتاجرة المكانَ لمنطق المسؤوليّة المُتبادَلَة والمُحِبَّة.

أليس في ذلك سبباً وجيهاً للاحتفال باليوبيل؟!

لقد أصابت مَعضلة الديون المجتمع اليهودي في عصور مختلفة، قابَلَتْها أجوبةٌ مختلفة، بدءاً بالدعوة إلى التضامن العرقي والعائلي، بلوغاً إلى التحرير من الديون. ليست الرغبةُ الجامحة للاستفادة من بؤس الآخرين غريبةً عن البشر؛ فمن أجل الحدّ من هذَين الإفراط والتعدي، يفرض التشريع البيبلي، بعض القواعد المحددة من جهة، ويبثّ نوعاً من روح التضامن، من جهة أخرى، مذكراً بأنّ الكرامة البشريّة، والاحترام الواجب لها، لا يتعلّقان بالظروف الاقتصاديّة ولا بالقدرة الماليّة، وأنّ قرضاً يرافقه طلب فوائد من أناس في وضع بائس، هو شكل من أشكال الإستغلال.

هكذا نجد سلسلة من المراجع البيبليّة التي تنصّ على التحرير الدوري للعبيد، وعودة بني إسرائيل إلى أرضهم التي فقدوها بسبب دَيْن عجزوا عن إيفائه. ينبغي أن يُستفاد من «السنة اليوبيليّة» حصراً، من أجل إعادة توطيد المساواة بين كلّ أفراد شعب الله، فتتوفّر بالتالي إمكانية استعادة الخيرات، كما أيضاً وخاصةً الحرّية الشخصيّة. كانت سنة اليوبيل إذاً ترمي إلى إعادة تركيز العدالة، وهو أمر غالٍ جداً على قلب الله، إذا جاز التعبير.

لأجل كل هذا، ينبغي أن يكون الإنسان، من حيث كرامته وحقوقه، وحريّته، في وسط جهود الكنيسة في سنة اليوبيل. فالتزامها المبني على تعاليم الرب يسوع خاصة، والبيبليا عامة، يحثها على العمل لتحويل هذه الرؤية إلى حقيقة، لكي يكون لجميع الناس، في العام ٢٠٠٠ وبعده، سببٌ لأن يفرحوا، ولأن يستعيدوا الثقة بالنفس وبالآخرين، ويشعروا أنهم متساوون بالكرامة والحقوق.

في التقليد الكنسي، سنة اليوبيل هي «سنة نعمة»، تكلّم عليها أشعيا (أش ٦١) أولاً، وأصبحت مع يسوع سنةَ مغفرة الخطايا والانعتاق من المتاعب التي تسببها هذه الأخيرة، سنةَ المصالحة بين الأعداء، سنةَ توبة وندامة وعودة إلى حضن الآب.

إذا كان يسوع قد أتى «ليبشّر المساكين» (متّى ١١:٥؛ لو ٧:٢٢)، فإنّ الكنيسة، على مثال معلمها، هي في العالم «أم» الفقير، قبل أن تكون في «معلمته»؛ خيارها هُـمُ الفقراء والمنبوذون والمقهورون والمظلومون؛ فلا عجب إذاً إذا ما التزمت بالعدالة والسلام في عالم موصوم بالكثير من النزاعات، والفوارق الاجتماعيّة والاقتصاديّة التي تسحق المساكين. إنَّ العجب كل العجب، لا بل قُلْ كل الأسف، سيكون إذا لم يحرّكْ صوتُ الربِّ المدوي الكنيسةَ وما تضم من مؤسسات لا عدَّ لها، وإذا لم تنذر كل طاقاتها الروحية والبشرية والمادية لأجل حياة العالم!

لن يكون اليوبيلُ والاحتفالُ به علةَ خلاص وفرح وسلام ما لم تُوضَع الأمور في نصابها، كما شاءها في البدء مَن أوجد وخلق ونظم.

إن المسيحيّين، انسجاماً منهم مع روح سفر اللاويين (لا ٢٥:٨-٢٨)، هم صوتُ جميع فقراء العالم، مما يدفعهم إلى الالتزام بأن يجعلوا من اليوبيل وقتاً مناساً للتفكير، والتأمل، واكتشاف الحقيقة المرساة على حجر الزاوية الصلد، يسوع المسيح، فيتحولوا من ثمَّ، كما المعلم، إلى حاملي بشرى الخلاص والكرامة والحرية.

إنَّ كلمة الله التي توجّهت ماضياً إلى الواقع الروحي والاجتماعي المعقّد في حياة شعب الله منذ أكثرمن ألفيّ سنة، تحثّنا اليوم، وتناشدنا، وتستجوبنا، داعيةً إيّانا إلى سماعها، والإصغاء إلى متطلباتها، على أن تصبح في النهاية قراراً شجاعاً، والتزاماً سخياً سخاءَ مَن بذل نفسه عن أحبائه حتى الموت على الصليب.

يسر مجلة بيبليا أن تساهم، عبر دراسة بعض أهم النصوص البيبلية المتعلقة باليوبيل، في تعميق مفاهيم هذا الحدث الروحي، والاجتماعي، والإنساني، فيكون تذكّر حدث التجسد، قبل ألفي عام، فرصةً استثنائية أمام الذين آمنوا بكلمة الله الذي صار بشراً، لأن يبرهنوا أنَّ «محبتهم ليست بالكلام أو باللسان، بل بالعمل والحق»!

رئيس التحرير

العمل والحق

ألفا سنة على التجسّد:
إنها سنة اليوبيل العظيم!